﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: 71 - 72]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

ذِكرُ الاختصامِ تفصيلًا بعدَ ذكرِهِ إجمالًا

لمّا ذكرَ ﷺ الاختصامَ إجمالًا في قولِهِ: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾؛ شرعَ هنا في ذكرِهِ تفصيلًا[1]، ومناسبة هذه القصَّةِ لِما قبلَها مِنَ الآياتِ المَسوقَةِ في سورةِ ص: أنَّه لمّا ذُكِرَ إعراضُ قريشٍ عن قَبولِ الدَّعوة؛ بسبب الحسَد والكِبر ذُكِرَ هنا حالُ إبليسَ مع آدمَ عليه السلام، لمّا خالَفَ أمرَ ربِّه، وامتنع عن السُّجود بسبب كِبرِه، فاستحقَّ اللَّعنَ والطَّردَ؛ لعلَّ المُنذَرين بهذه القِصَّة يتَّعِظون بها، ويَرتَدِعون.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَوَّيْتُهُۥ﴾: (سوي) أصلٌ يدلُّ على استقامةٍ واعتدالٍ بينَ شيئين، ومِنْ ذلكَ يقالُ: هذا لا يُساوي كذا، أي: لا يُعادِلُهُ، والسَّويُّ يقالُ فيما يُصانُ عنِ الإفراطِ والتَّفريطِ مِنْ حيثُ القَدْرُ والكيفيَّةُ، ويقالُ: رجلٌ سَويٌّ، أي: استوَتْ أخلاقُهُ وخِلْقَتُهُ عنِ الإفراطِ والتَّفريطِ[2]، والمرادُ بالتَّسويةِ في قولِهِ تعالى ﴿سَوَّيْتُهُۥ﴾: إتمامُ الخِلقَة وتعديلُها[3]، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [الانفطار: 7].

2) ﴿وَنَفَخْتُ﴾: (نفخ) أصلٌ يدلُّ على اندفاعٍ للهواءِ في جوفِ الشَّيءِ مع عُلوٍّ[4]، ومِنْ ذلكَ يقالُ: انتفخَ بَطْنُهُ، أي: ارتفعَ مِنَ الرّيحِ،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 235، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 510.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (سوي).
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 34.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (نفخ).

والمِنْفاخُ: الَّذي ينفخُ بهِ الإنسانُ في النّارِ وغيرِها، والنَّفْخاءُ مِنَ الأرضِ: ما ارتفعَ[1]، والمرادُ بالنَّفخِ هنا: وضعُ قوَّةٍ لطيفةِ السَّرَيانِ، قويَّةِ التَّأثيرِ دفعةً واحدةً[2].

3) ﴿فَقَعُواْ﴾: (وقع) أصلٌ يدلُّ على سقوطِ شيءٍ[3]، ومِنْ ذلكَ يقالُ: وقعَ الطّائرُ[4]، والواقعةُ لا تُقالُ إلّا في الشِّدَّةِ والمكروهِ، وأكثرُ ما جاءَ في القرآنِ مِنْ لفظِ (وقعَ)؛ جاءَ في العذابِ والشَّدائدِ[5]، والمرادُ بالوقوعِ هنا المبادرةُ إلى السُّجود.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

خلْقُ آدمَ وتكريمُهُ بسجودِ الملائكةِ لهُ

يُخبرُ اللّهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ عن قصَّةِ خلقِ آدمَ، وأنَّهُ قالَ لملائكتِهِ: إنَّهُ سيخلقُ بشرًا مِنْ طينٍ، فإذا أتمَّ خلقَهُ، وعدَّلهُ، ونفخَ الرّوحَ فيهِ؛ فعليهِم أنْ يسجُدوا لهُ على الفورِ؛ تكريمًا لهُ وتعظيمًا.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ فصلِ الآية:

تفصيلُ قصَّةِ آدمَ وإبليسَ بعدَ إجمالِها

فُصِلَ قولُ اللّه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾، عمّا قبلَهُ لِما بينَهما مِنْ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّ قولَهُ تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ بدلٌ مِنْ قولِهِ: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ مُبيِّنٌ لهُ.

هذا إذا كانتِ القصَّةُ الَّتي دخلَتْ ﴿إِذْ﴾ عليها مشتملةً على تقاوُلِ الملائكةِ وإبليسَ في خلقِ آدمَ عليه السلام، واستحقاقِهِ للخلافةِ والسُّجودِ[6]، وإنْ كانتِ القصَّةُ في غيرِ ذلكَ، فـ﴿إِذْ﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، والسمين، عمدة الحفاظ: (نفخ).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 44.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقع).
(4) الزمخشري، أساس البلاغة: (وقع).
(5) الراغب، المفردات: (وقع).
(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 34، والسمين، الدر المصون: 9/ 397.

تقديرُهُ: (واذكُرْ إذ قالَ ربُّكَ)[1]، والجملةُ معَ المحذوفِ استئنافٌ، ونكتةُ التَّذكيرِ بالوقتِ أنَّهُ أدخلُ في التَّذكيرِ بما وقعَ فيهِ[2].

سرُّ ذكرِ قصَّةِ آدمَ عليه السلام:

الحسدُ والكِبْرُ سببُ كُلِّ عِصيانٍ

تظهرُ مناسبةُ ذكرِ قصَّةِ آدمَ عليه السلام هنا، التي أوَّلُها: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ في الزَّجرِ عنِ الحسدِ والكِبْرِ، وذلكَ أنَّ إبليسَ إنَّما وقعَ في ما وقعَ فيهِ بسببِ الحسدِ والكِبْرِ، والكفّارُ إنَّما نازعوا نبيَّنا محمَّدًا ﷺ بسببِ الحسدِ والكِبرِ[3]، وللتَّنبيهِ على أنَّ إبليسَ بامتناعِهِ عن امتثالِ أمرٍ واحدٍ جرَى عليهِ ما جرَى، فكيفَ يكونُ حالُهم وهم مغمورونَ في المعاصي، وهو أوَّلُ مَنْ سنَّ العصيانَ، فهو إمامُهم وقائدُهم إلى النّارِ[4].

وقد سيقت هذه القصَّةُ بعد ذكرِ نعيمِ أهلِ الجنَّةِ، وعقابِ أهلِ النّارِ، وفي هذا الإيرادِ ترتيبٌ حكيمٌ، ومَلاءمةٌ بديعةٌ، بأنْ يُعقَّبَ ذِكرُ نهايةِ الخلقِ، ومصيرِ البَشَرِ طائعِهم وعاصيهم؛ ببيانِ أوَّلِهِ كيفَ بدأ، وكيف كان عصيانُ إبليسَ ربَّه، ووعدُه بإغواءِ البشريَّةِ.

نكتةُ اختصارِ القصَّةِ:

التَّفصيلُ فيما سبَقَ مُغْنٍ عن التَّفصيلِ هنا

اختُصِرَتْ قصَّةُ التَّقاوُلِ في خلقِ آدمَ عليه السلام هنا اكتفاءً بتفصيلِها في سورةِ البقرةِ وغيرِها من السّوَرِ السّابقةِ لها في ترتيبِ المصحفِ، واقتصارًا على ما هو المقصودُ منها، وهو إنذارُ المشركينَ وردعُهم عنِ استكبارِهم على النَّبيِّ ﷺ بمِثْلِ ما حاقَ بإبليسَ بسببِ استكبارِهِ على آدمَ عليه السلام[5]، ولا إشكالَ في الإحالةِ على سورةِ البقرةِ قبلَ نزولِها – إذ هي مدنيَّةٌ، وهذه السّورةُ مكّيَّةٌ – لأنَّ نزولَها مُتيقَّنٌ[6].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 514، والسمين، الدر المصون: 9/ 397.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 281.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 409، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 173.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 212.
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 34.
(6) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 447.

سرُّ التَّعبير بالظرفيَّة ﴿إِذْ﴾:

صدِّرت قصَّة آدمَ ﷺ بالظرفيَّة ﴿إِذْ﴾ للدَّلالة على عظَمة شأن هذه القصَّة، وأنَّ ما في ثناياها أمرٌ عظيم ينبغي الاستماع إليه، لأخذ العظةِ والعِبرة لأهل الطّاعة ولأهل المعصيةِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي ﴿قَالَ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾؛ لأنَّ هذا القولَ قد تحقَّقَ، ومضَى، كما هو الشَّأنُ في روايةِ القصصِ والأخبارِ الماضيةِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالرُّبوبيَّةِ:

الوحيُ نعمةٌ مِنَ اللهِ

عُبِّرَ بالرُّبوبيَّةِ في قولِ اللّهِ تعالى شأنُهُ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ دون الألوهيَّة، فلم يقل: (إذ قال الله)؛ للدَّلالةِ على أنَّ هذا المقامَ مقامُ إنعامٍ وعطاء، ولبيان أنَّ نُبوَّتَهُ ﷺ إحسانٌ مِنَ اللّهِ له، وإنعامٌ عليه، بذكرِ الوصفِ الدّالِّ بحسَبِ وضعِهِ اللُّغويِّ على التَّربيةِ والإحسانِ والإنعامِ[1].

بلاغةُ الإضافةِ في ﴿رَبُّكَ﴾:

العبوديَّةُ للهِ شرفٌ وعطاءٌ للعبدِ

أُضيفَتِ الرُّبوبيَّةُ إلى ضميرِ النَّبيِّ ﷺ في قول الباري ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾؛ لتشريفِهِ ﷺ بالاندراجِ تحتَ ظلالِ الرُّبوبيَّةِ، وللإشعارِ بعلَّةِ حُكمِ الإخبارِ، وهو الإحسانُ والإنعامُ[2]، ولبيان أنَّ وحيَ هذا النَّبأِ إليه من باب التَّأييد والتَّثبيت له ﷺ.

سرُّ إيثارِ الخطابِ:

النَّبيُّ محلُّ العزِّ والتَّشريفِ

أوثرَ الخطابُ على التَّكلُّم في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾، ولم يقل: (إذ قلنا للملائكة) مع

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 418.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 235، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 281.

أنَّهُ أوجزُ: لتشريفِ النَّبيِّ ﷺ بعزِّ الخطابِ والحضورِ[1]، وتحصيلِ ما يترتَّبُ على الإضافةِ مِنَ التَّشريفِ، والتَّكريمِ بالإحسانِ والإنعامِ؛ ولأنَّ في الخطاب اعتبارَ حالِ الآمِرِ، فهو أدلُّ على كون القرآنِ وحيًا منزَّلًا مِن عنده تعالى[2].

دلالةُ لامِ الجرِّ:

إعـلامُ اللهِ للملائكةِ خلْقَ آدمَ ﷺ

اللّامُ الجارَّةُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ للتَّبليغِ والإعلام، فتفيدُ تبليغَ الملائكةِ الكلامَ المذكورَ.

نكتةُ تعريفِ الملائكةِ:

إخبارُ اللهِ جنسَ الملائكةِ بخلقِ آدمَ

تعريفُ لفظِ الملائِكَةِ في قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ للجنسِ، ويجوزُ أنْ يكونَ المخاطَبونَ والمأمورونَ بالسُّجودِ هم الملائكةَ الَّذينَ كانوا في المكانِ الَّذي خُلِقَ فيهِ آدمُ، ويحتملُ الاستغراقَ لجميعِ الملائكةِ[3]، وعُدَّ إبليسُ منهُم؛ لأنَّهُ كانَ إذ ذاكَ معَهم[4].

سرُّ التَّعبيرِ بالملائكةِ:

اشتهارُ الملائكةِ المقولِ لهُم هذا القولُ بهذا اللَّفظِ

إنْ كانَ المرادُ بالملائكةِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ ما يعمُّ إبليسَ، وكانَ المرادُ بهم هو المرادَ بالملأِ الأعلى في الآية السّابقة؛ فالتَّعبيرُ بهم دونَ الضَّميرِ الرّاجعِ إلى الملأِ الأعلى؛ إذ لم يقل: (إذ قال ربُّك لهُم)؛ لشيوعِ تعلُّقِ القولِ بهم بينَ أهلِ الكتابِ بهذا اللفظِ، أو لشهرةِ المقابلةِ بينَ المَلَكِ والبشرِ، فيَلطُفُ قولُهُ تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾[5]؛ إذ يشتملُ على هذهِ المقابلةِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 418.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 235.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/ 38.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 418.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 241.

بلاغةُ التَّوكيدِ في الآية:

استبعادُ الملائكةِ خلْقَ مَنْ يصدُر منه فسادٌ

أُكِّدَ قولُ الله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ بـ(إنَّ) واسميَّةِ الجملةِ؛ لأنَّ الملائكةَ كانوا عالمينَ - بما دلَّهم عليهِ دليلٌ مِنَ اللهِ - أنَّ البشرَ يقعُ منهُ الفسادُ، فكانوا يستبعدونَ أنْ يخلُقَ ﷻ مَنْ يقع منه فسادٌ، فأكَّدَ لهُم سبحانَهُ قولَهُ لإزالةِ استبعادِهم[1]، وفي التَّوكيدِ أيضًا تحقيقٌ لخلقِ اللهِ تعالى آدمَ على غيرِ مثالٍ سابقٍ، وإظهارٌ للاعتناءِ بهِ.

نكتةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ:

إذا قضى اللهُ الأمرَ فلا مانعَ لِما قضى

عُبِّرَ باسمِ الفاعلِ ﴿خَالِقٌ﴾ دونَ المضارعِ (يخلق) في قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾، أي: فيما سيأتي؛ لِما في صيغةِ اسمِ الفاعلِ مِنَ الدَّلالةِ على أنَّهُ تعالى فاعلٌ هذا الخلقَ قطعًا، مِنْ غيرِ صارفٍ يلويه، أو عاطفٍ يُثنيه عن ذلكَ[2].

سرُّ تسميَتِه ﴿بَشَرًا﴾:

اسمُ البشرِ ذُكِرَ عندَ الحكايةِ لا عندَ وقوعِ المحكيِّ

قالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾، معَ أنَّ البشرَ لم يكنْ معروفًا ولا معهودًا للملائكةِ، ووجهُ ذلكَ: أنَّ هذا الاسمَ قد ذُكِرَ عندَ الحكايةِ، وأمّا عندَ وقوعِ المَحكيِّ؛ فالظّاهرُ أنَّهُ قالَ لهُم: (إنّي خالقٌ خَلْقًا مِنْ صفتِهِ كيتَ وكيتَ)[3]، أو أنَّهُ سبحانَهُ قد فهَّمَ الملائكةَ الحقيقةَ بما ألقَى فيهِم مِنَ العلمِ.

سِرُّ التَّعبيرِ بالبَشَر:

بشريَّةُ آدمَ في خَلقِه مِن طينٍ

آثر القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالبشريَّة في قول الله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ دون التَّعبير بالإنسانيَّة باعتبارِ ظهور بشَرَته، فمَظهَرُه وجُثَّته معتَبَرٌ هنا، فقد خُلِقَ جَمادًا، ثُمَّ نُفِخَ فيه الرّوحُ، فصارَ إنسانًا حيًّا. وفي التَّعبيرِ بالبشَر أيضًا إيماءٌ إلى خِلقَةِ الإنسان

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 419.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 235، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 214.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 105، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 235.

- مع ذِكرِ مادَّةِ جسده الأولى - وتنبيهٌ إلى الفرق بينها وبين خِلقة الملائكة من نور، وخِلقة الجنِّ من نار. وربَّما جَرَتْ عادةُ القرآن بمقابلة الجنِّ بالإنس، والملائكة بالبشَر، كما في هذا الموضع.

غرضُ تنكيرِ ﴿بَشَرًا﴾:

آدمُ أبو البَشَر عظيمُ الشأنِ بديعُ الخَلق

تنكيرُ ﴿بَشَرًا﴾ في قولِ اللهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ للإفرادِ، أي: (إني خالقٌ فردًا من أفرادِ البشرِ، وهو أوَّلُهم وأبوهم)، أو هو للتَّعظيم، والمعنى: (إنّي خالقٌ مِنْ طينٍ بشرًا عظيمَ الخَلْقِ بديعَ الشَّأنِ)، وفي ذلكَ تنبيهٌ للملائكةِ على عُلوِّ شأنِه، وتوطئةٌ لطلبِ السُّجودِ منهُم لهُ.

دلالة ﴿مِّن﴾:

﴿مِّن﴾ في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ ابتدائيَّةٌ، والمعنى: (إنّي خالقٌ بشرًا ابتداءً مِنْ طينٍ)، وفيه إشارةٌ للتَّفريق بين طبيعةِ خلق آدمَ وذريَّته؛ إذ خُلِقوا بعدَه مِن مَنيٍّ يُمنَى.

دلالةُ تنكيرِ ﴿طِينٍ﴾:

التّفضيلُ مِنحَةٌ ربّانيّة، لا يُسألُ مولِيها عمّا يَفعل، وهم يُسألون

تنكيرُ ﴿طِينٍ﴾ في قولِ الباري ﷻ: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ للتَّحقير، كما روي في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: 26]: أي المُنتِن[1]. وعلى حقارة هذه المادّة بنى إبليسُ اعتراضَه، فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾؛ لكنّ هذا التّنكيرَ في حقيقته إظهارٌ لقدرة الله، فهو سبحانه الَّذي يخرج الحيَّ من الميِّت، وهو الَّذي يجعل الأفضليَّة حيث شاء. فسجود الملائكة لآدم لم يكنْ لشرف مادَّةٍ على مادَّة، بل طاعةً لله الذي شاء أن يفضِّله عليهم[2].

(1) البغوي، معالم التنزيل: 4/ 378.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 44.

سرُّ تسميةِ مادَّةِ الخلقِ:

شرفُ الموجوداتِ بمزاياها، لا بمادَّةِ تركيبِها

سمَّى اللَّهُ ﷻ للملائكةِ المادَّةَ الَّتي منها خَلَقَ أوَّلَ البشرِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾؛ ليعلَموا أنَّ شرفَ الموجوداتِ بمزاياها، لا بمادَّةِ تركيبِها[1]، وفي هذا دليلٌ على أنَّ الأفضليَّةَ ممنوحةٌ مِنَ اللَّه، وليستْ ذاتيَّةً، معَ إظهارِ كمالِ قدرته، بإخراجِ الحيِّ مِنَ الميِّت، فآدمُ حيٌّ، والتُّرابُ ميِّت.

توجيهُ المتشابِهِ اللَّفظيِّ:

اختلافُ أوصافِ الخَلقِ باختلافِ أطْوارِه ومَراحِلِه

ذكرَ اللَّهُ ﷻ هنا أنَّهُ خلقَ آدمَ ﴿مِّن طِينٍ﴾، وفي سورةِ آلِ عمران أنَّه ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 59]، وفي سورة الحِجْر أنَّه خلقَهُ: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦﴾ [الحجر: 26]، وفي سورةِ الرَّحمَنِ أنَّه خلقه ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤﴾ [الرحمن: 14]، وكلٌّ واحدةٍ منها تصفُ طورًا من أطوارِ خَلقِ آدمَ عليه السلام، فالمادَّةُ البعيدةُ هي التُّرابُ، وأقربُ منهُ الطِّينُ، وأقربُ منهُ الحمأُ المسنونُ، وأقربُ منهُ الصَّلصالُ، ولا منافاةَ بينَ الكلِّ[2]؛ لأنَّ كلَّ آيةٍ تحدَّثت عن مرحلةٍ من مراحلِ الخلق، فالتُّرابُ إذا ضُمَّ إليه الماءُ؛ صارَ طينًا، وإذا يَبِسَ؛ صار صلصالًا كالفخّار، واقتُصِرَ هنا على ذِكرِ الطِّينِ اكتفاءً بما ذُكِرَ في المواضعِ الأخرى[3].

سرُّ التَّعبيرِ بالفاءِ:

السّجودُ مترتِّبٌ على الخلق

أوثِرَ التَّعبيرُ بالفاء دون غيرها في أوَّل قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ للسَّببيَّةِ؛ وذلكَ أنَّهُ تعالى لمّا أخبرَهم بما يريدُ أنْ يفعلَ مِنْ خلقِ البشرِ مِنْ طينٍ سبَّبَ عنهُ الأمرَ بالسّجود[4]، فأفادَ أنَّ السجودَ مُترتِّبٌ على الخلقِ. وفي التّعبير بلاغةُ الإيجازِ، وذلك بطيِّ الجملِ بينَ الخلقِ والسجود

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 44.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 409، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 173.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 235.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 419.

في قولِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾؛ والمعنى: (فإذا خلقتُ بشرًا مِنْ طينٍ، وغيَّرتُهُ طَوْرًا بعدَ طَوْرٍ، حتَّى سوَّيتُهُ ... فاسجدوا له)[1].

سرُّ التَّعبيرِ بـ(إذا):

التَّسويةُ والنَّفخُ حاصلانِ قطعًا

عُبِّرَ بـ(إذا) دونَ (إنْ) في قولِ الباري ﷻ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾؛ لأنَّ (إذا) تُستعمَلُ في مقامِ القطعِ بوقوعِ الشَّرطِ، و(إنْ) تُستعمَلُ في مقامِ عدمِ الجزمِ بوقوعِهِ، والتَّسويةُ والنَّفخُ هنا مقطوعٌ بهما، فاختيرَتْ (إذا)، وفيها أيضًا ملاءمةٌ للتَّأكيدِ الَّذي افتُتِحَتْ بهِ الآيةُ السّابقةُ.

دلالة التَّعبير بالتَّسْويَة:

اللهُ أحسنَ كُلَّ شيءٍ خَلَقَهُ

دلَّ التَّعبيرُ بالتَّسويَة في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ على أنَّ اللّه تعالى جعل أعضاءَ آدمَ عليه السلام سليمةً مُسَوّاةً، لا إفراط فيها ولا تفريطَ، بل تؤدّي وظيفتَها على الوجه الأكملِ كمًّا وكيفًا.

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي:

الماضي أقربُ للقطعِ بالتَّسويةِ والنَّفخِ

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾؛ لأنَّ (إذا) تُستعمَلُ في مقامِ القطعِ بوقوعِ الشَّرطِ، وصيغةُ الماضي باعتبارِ لفظِها أقربُ إلى القطعِ، وإنْ كانَ المعنى على الاستقبالِ؛ لأنَّ (إذا) تقلبُ الماضيَ إلى المستقبلِ.

سرُّ إسنادِ التَّسويةِ والنَّفخِ إلى اللهِ:

تشريفُ آدمَ وتعظيمُهُ بتولّي اللهِ لخلقِهِ

في إسنادِ التَّسويةِ والنَّفخِ إلى اللّهِ تعالى في قولِهِ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾، تنويهٌ بهذا المخلوقِ، وتشريفٌ له[2]، ببيانِ أنَّ اللّهَ تعالى هو الَّذي تولَّى بنفسِهِ تسويةَ

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 11/ 147.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 44.

أعضائِهِ، ونَفْخَ الرّوحِ فيهِ، ولم ينسُبِ الفعلَ إلى ملَكٍ من الملائكةِ، كما قال بعد ذلك لإبليسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وفيهِ أيضًا تعظيمٌ لشأنِ هذينِ الفعلينِ اللَّذينِ لا يقدرُ عليهما سوى اللّهِ تعالى.

بلاغةُ عطفِ جملةِ النَّفْخِ:

الخلقُ لا يتمُّ إلّا بالتَّسويةِ والنَّفخِ

الواوُ في قولِ اللّهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾؛ لعطفِ هذهِ الجملةِ على جملةِ ﴿سَوَّيْتُهُۥ﴾، فتفيدُ دخولَها معَها في حيِّزِ الشَّرطِ، وأنَّ السُّجودَ يكونُ بعدَ حصولِهما، وأنَّ تخليقَ البشرِ لا يتمُّ إلّا بأمرينِ: التَّسويةِ أوَّلًا، ثمَّ نفخِ الرّوحِ ثانيًا؛ لأنَّ الإنسانَ مُركَّبٌ مِنْ جسَدٍ ونفْسٍ[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالنَّفخِ:

النَّفخُ مستعارٌ لإفاضةِ سببِ الحياةِ بالفعلِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ استعارةٌ لطيفةٌ، وذلكَ أنَّ النَّفخَ في الأصلِ إجراءُ الرّيحِ إلى تجويفِ جسمٍ صالحٍ لإمساكِها والامتلاءِ بها؛ والمرادُ هنا تشبيهُ إفاضةِ الرّوحِ بما يتأثَّرُ عن نفخِ الإنسانِ مِنْ لَهَبِ النّيرانِ وغيرِ ذلكَ[2]، والاستعارةُ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ لأنَّها واقعةٌ في الفعلِ؛ أو النَّفخُ تمثيلٌ لإفاضةِ ما بهِ الحياةُ بالفعلِ على المادَّةِ القابلةِ لها[3]. وفائدةُ هذه الاستعارةِ: إفادةُ سَرَيانِ الرّوحِ في ثنايا أجزاءِ الجسمِ على وجهِ المجازِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالظَّرفيَّةِ (في):

جسدُ آدمَ موضِعُ نَفخِ الرّوحِ

حرفُ الجرِّ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ للظَّرفيةِ المكانيَّةِ، فيفيدُ أنَّ جسدَ آدمَ عليه السلام هو موضِعُ نفخِ الرّوحِ، وفي هذا التَّعبيرِ دلالةٌ على عظيمِ قدرتِه سبحانه؛ إذ أدخَلَ الرّوحَ في كلِّ جزءٍ من أجزائه، حتّى تمكَّنتْ منه تَمَكُّنَ الظَّرفِ من المَظروفِ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 409.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 419.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 236، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 215.

سِرُّ التَّعبيرِ بالضَّمير:

لم يكتملْ خلقُ آدمَ حتّى نُفِخَ فيه الرّوحُ

آثر القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالضَّمير في قول الله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾ دون الاسم الظّاهر، فلم يقل: (ونفختُ في آدمَ)؛ لأنَّه لم تتحقَّق فيه صفةُ الحياة قبل نفخِ الرّوح؛ لذلك عُبِّر بالضَّمير الَّذي يناسِبُ مرحلةَ ما قبلَ الظُّهور.

معنى ﴿مِن﴾:

﴿مِن﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ للتَّبيين؛ لأنَّ في قولِهِ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾ إبهامًا للمنفوخِ، وفي قولِهِ: ﴿مِن رُّوحِى﴾ توضيحٌ لهُ وبيانٌ.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿رُّوحِى﴾:

الـرّوحُ شريفةٌ عظيمةُ الشَّأنِ

إضافةُ الرّوحِ إلى الضَّميرِ الرّاجعِ إلى اللّهِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾؛ لبيانِ أنَّها مملوكةٌ للّهِ تعالى، ولتشريفِها[1]، وبيانِ طهارتِها وقداستِها[2]، كالإضافةِ في (بيتِ اللّهِ)، و(ناقةِ اللّهِ)[3]، أو لأنَّهُ ﷻ خَلَقَها مِنْ غيرِ واسطةٍ تجري مجرى الأصلِ والمادَّةِ[4]، ولو علمَ النّاسُ عِظَمَ شأنِ الرّوحِ المودَعةِ في نفوسِ بني آدمَ؛ لَما بغَى بعضُهم على بعضٍ، ولا قتلَ بعضُهم بعضًا بغيرِ حقٍّ.

دلالةُ فاءِ ﴿فَقَعُواْ﴾:

الفاءُ في قولِ اللّهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ واقعةٌ في جوابِ الشَّرطِ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾؛ فتفيدُ أنَّهُ بتمامِ التَّسويةِ ونفخِ الرّوحِ يتوجَّهُ أمرُ اللّهِ لهُم بالسُّجودِ دونَ تَوانٍ[5].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 514.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 34.
(3) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 164.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 283.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 410.

دلالةُ الأمرِ بالسُّجود:

الأمرُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ لوجوبِ السُّجودِ، بدليلِ معاقبةِ إبليسَ على رفضِهِ السُّجودَ.

دلالة لامِ ﴿لَهُۥ﴾:

اللّامُ في قولِ اللهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ للتَّعليلِ، أي: فقَعوا لأجلِهِ ساجدينَ، وفي ذلكَ دليلٌ على أنَّهم كُلِّفوا بالسُّجودِ لذاتِ آدمَ عليه السلام[1]؛ طاعةً للّه واستسلامًا لأمره بذلك.

غرضُ تقديمِ ﴿لَهُۥ﴾:

السُّجودُ لآدمَ محلُّ العنايةِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿لَهُۥ﴾ على ﴿سَٰجِدِينَ﴾ في أمرِ اللهِ تعالى: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾؛ لإفادةِ الاهتمامِ بإيقاعِ السُّجودِ لآدمَ، ويحتملُ أنْ يكونَ التَّقديمُ للتَّخصيصِ له دون غيره من المخلوقات[2]، ولمراعاةِ الفاصلةِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالوُقوعِ:

تكريمُ آدمَ بالسُّجودِ لإظهارِ محبَّةِ لله وتعظيمِه

جاء التَّعبيرُ القرآنيُّ بالوقوعِ في قول اللّه تعالى: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ دونَ أن يُقال: (فاسجُدوا)؛ للتَّنبيهِ على أنَّ المطلوبَ أنْ يسجُدوا سُجودًا غايةَ ما يكونُ مِنَ الطَّواعيَةِ والاختيارِ والمحبَّةِ، ليكونوا كأنَّهم وقعوا بغيرِ اختيارٍ[3].

بلاغةُ مجيءِ الحالِ ﴿سَٰجِدِينَ﴾:

الوقوعُ المطلوبُ لآدمَ وقوعُ تعظيمٍ وتشريفٍ

جيءَ بالحالِ ﴿سَٰجِدِينَ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾؛ لإفادةِ نوعِ الوقوعِ، وهو الوقوعُ لقصدِ التَّعظيم[4]؛ لأنَّ الوقوعَ يكون على أحوالٍ متعدِّدَة، والمقصودُ هنا تعظيمُ آدمَ وتكريمُه.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 421.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 420.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 420.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 45.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخلقُ والذَّرْءُ والبَرْءُ:

الخلقُ في الأصلِ تقديرُ الشَّيءِ[1]، ويُستعمَلُ في إبداعِ الشَّيءِ مِنْ غيرِ أصلٍ ولا مثالٍ سابقٍ[2]، والبَرْءُ: هو تمييزُ الصّورةِ، فمعنى قولِهم: برأ اللّهُ الخلقَ: ميَّزَ صوَرَهم[3]، وأصلُ الذَّرْءِ: الإظهارُ، فمعنى ذرأ اللّهُ الخَلْقَ: أظهرَهم بالإيجادِ بعدَ العدمِ[4]، ويُلحَظُ في الذَّرْءِ معنى البَثِّ والتَّكثيرِ، وقد عُبِّرَ بالخلقِ هنا لدلالتِهِ على إبداعِ آدمَ مِنْ غيرِ أصلٍ ولا مثالٍ سابقٍ.

الخلقُ أنسبُ بإبداعِ آدمَ مِنْ غيرِ أصلٍ ولا مثالٍ سابقٍ

البشرُ والإنسانُ:

سُمّيَ البشرُ بذلكَ باعتبارِ ظهورِ جِلْدِهِ مِنَ الشَّعَرِ، بخلافِ الحيواناتِ الَّتي عليها الصّوفُ أوِ الشَّعَرُ أوِ الوَبَرُ، أو باعتبارِ حُسْنِ الهيئةِ؛ لأنَّهُ مُشتقٌّ مِنَ البشارةِ، وهي حُسْنُ الهيئةِ، يقالُ: رجلٌ بَشيرٌ؛ إذا كانَ حسنَ الهيئةِ، وأمّا الإنسانُ؛ فهو مِن الأُنسِ الَّذي هو خلافُ النُّفورِ، وقد عُبِّرَ بالبشرِ هنا لدلالتِهِ على حُسْنِ هيئةِ هذا المخلوقِ بالنِّسبةِ لغيرِهِ، وهو أنسبُ بمقامِ التَّكريمِ والتَّعظيمِ، وأوفقُ بالمقابلةِ بالملائكةِ؛ إذ جرتِ العادةُ بمقابلةِ البشرِ بالملائكةِ.

البشرُ دالٌّ على حُسْنِ الهيئةِ المناسبِ للتَّكريمِ والتَّعظيمِ

التَّسويةُ والتَّعديلُ:

التَّسويةُ: جعلُ الأعضاءِ سليمةً مُسوّاةً مُعدَّةً لمنافعِها، والتَّعديلُ: جعْلُ البنيةِ معتدلةً متناسبةَ الأعضاءِ[5]، وقد عُبِّرَ بالتَّسويةِ هنا لدلالتِها على إتمامِ الخلقِ[6]، واعتدالِ العناصرِ في آدمَ واكتمالِها، بحيثُ صارَتْ قابلةً لنفخِ الرّوحِ[7].

التَّسويةُ أدلُّ على اكتمالِ الخلقِ وتهيئتِهِ لنفخِ الرّوحِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلق).
(2) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (خلق).
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 138.
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 138، والراغب، المفردات: (ذرأ).
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 292.
(6) الزمخشري، الكشاف: 4/ 105.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 44.

الوقوعُ والخُرورُ:

دلالةُ الوقوعِ على عدمِ إصدارِ صوتٍ عندَ السُّقوطِ

الوقوعُ: هو السُّقوطُ، والخُرورُ: سقوطٌ يُسمَعُ منهُ صوتٌ، ولذلكَ يُطلَقُ الخريرُ على صوتِ الماءِ والرّيحِ وغيرِ ذلكَ ممّا يَسْقُطُ مِنْ عُلْوٍ، وقد عُبِّرَ بالوقوعِ هنا؛ لأنَّهُ لا يرادُ صدورُ صوتٍ عندَ السُّقوطِ للسُّجودِ، وكأنَّ المطلوبَ هو سرعةُ الائتمارِ للأمرِ، بحيثُ لا يصدرُ صوتٌ عندَ تنفيذِهِ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»